الحياة الطيّبة
السنة 27
العدد 53-52
شتاء-ربيع 2023م
ملف العدد

جهاد التبيين في فكر الإمام الخامنئي دام ظله بين الحرب الناعمة والقوّة الناعمة

الدكتور السيّد حسين قشاقش[1]

مُستَخلَص:

تعتمد الدول الاستكباريّة اليوم على مفهوم جديد للحرب والنفوذ وهو مفهوم الحرب الناعمة، حيث يكون الغزو فكريًا ثقافيًا هادئًا بعيدًا عن الخسائر البشرية والاقتصاديّة، مع تحقيق الأهداف الاستعماريّة المرجوّة، وقد عرّف جوزيف ناي القوّة الناعمة بأنها: «القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلًا عن الإرغام..»

وكأيّ حرب أخرى، فإنّ الحرب الناعمة لها أدواتها وعناصرها التي تسخّرها لتحقيق أهدافها المرسومة، وتكون هذه القوى وأفعالها منسجمة مع الماهيّة الناعمة للحرب، فتحافظ على تلك السنخيّة، بعيدًا عن العنف وإثارة حفيظة الطرف المستهدف، كالقيم الأميركية، وجاذبية الرموز الأميركية، وصورة أميركا، وشرعية سياساتها الخارجية وتعاملاتها وسلوكياتها الدولية.

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ الحرب الناعمة، هي الحرب بواسطة الأدوات الثقافيّة والتغلغل والاندساس والكذب وبثّ الشائعات بواسطة

(1) باحث وأستاذ جامعي وحوزوي، من لبنان.

الأدوات المتطوّرة الموجودة حاليًّا، وهي حرب طويلة الأمد، غير منظورة وغير ملموسة، معقدة وواسعة وشاملة.

أمام هذه الحرب يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ جهاد التبيين هو السلاح الأكثر فعاليّة في المواجهة، وقد وردت قضيّة التبيين في العديد من النصوص الدينيّة القرآنيّة والروائية، فالمصطلح يحكي قضيّة شرعيّة إسلاميّة، وقد نُسب التبيين في القرآن الكريم إلى أربعة جهات مختلفة: الله، الرسول، الكتاب وآخرين.

ثم يذكر الإمام الخامنئي دام ظله بشكل صريح تكليف الجميع من هذا الواجب ويصفه بالفريضة بقوله: «إنّ «جهاد التبيين» فريضة، «جهاد التبيين» فريضة حتميّة وفوريّة، وكل من يستطيع عليه ذلك».

وفي ما يخصّ سياسات وآليات جهاد التبيين فقد ذكر الامام الخامنئي دام ظله جملة منها، وهي أهميّة السؤال والنقد وضرورة الإجابة، التواصل المباشر، اتباع نهج أخلاقي، قوّة خطاب التبيين ومتانته أن يكون الفرد المبيّن كالطبيب الدوّار، ضرورة الفهم والمعرفة قبل التبيين... هذا وينبغي على الفئة المؤمنة الانتقال في جهاد التبيين من الإطار النظري إلى الميدان التطبيقي العملي.

كلمات مفتاحيّة:

جهاد التبيين، خطاب التبيين، الحرب الناعمة، القوّة الناعمة، الإمام الخامنئي.

المحور الأوّل: الحرب الناعمة، القوّة الناعمة، وموقف الإمام الخامنئي دام ظله منهما:

أوّلًا: تعريف الحرب الناعمة:

يستبطن مصطلح الحرب الناعمة الحديث عن الحرب كعمل هجومي يستهدف الطرف الآخر، مع ما تحمله الحرب من أهداف الإيذاء والإهلاك والهزيمة، ولا أقل من الانكسار والانصياع، تمامًا كما في الحرب الصلبة، إلّا أنّ تقييد الحرب بوصف الناعمة يجعلنا أمام حرب تختلف عن الحروب العنفيّة التي تعتمد إسالة الدماء وتدمير البنى التحتية للوصول إلى تلك الأهداف، فالحرب هذه ترتدي ثوبًا مخمليًا يخفي براثن مطلقها ويظهر ملمسًا ناعمًا يضلّل الفئة المستهدفة، فلا تتفطّن للدفاع عن نفسها، فضلًا عن الردّ بهجوم مقابل.

أوّل من طرح هذا المصطلح كان الكاتب الأمريكي جوزيف ناي الذي كشف عن طريقة الإدارة الأمريكيّة في مواجهة الاتحاد السوفياتي وإسقاطه بعد العجز عن مواجهته عسكريًا بسبب معادلة الردع النووي التي حصلت، فقام بنشر كتابه «مفارقة القوة» الذي صدر عام 1991م بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ثم ألحقه بكتابه «ملزمون بالقيادة» الذي صدر عام 2001، بعد أحداث 11 أيلول والمخطط الأمريكي لغزو المنطقة ابتداء بأفغانستان ثم العراق، ليطرح بعدها كتابه الشهير «القوة الناعمة؛ وسيلة النجاح في السياسة الدولية" عام 2004.

وقد عرّف ناي القوة الناعمة بأنّها «القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلًا عن الإرغام، وهي القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف المتوخّاة دون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للعوامل والوسائل العسكرية والصلبة، وهذا ما حصل مع الاتحاد السوفياتي، حيث تم تقويضه من الداخل؛ لأن القوة لا تصلح إلا

في السياق الذي تعمل فيه، فالدبابة لا تصلح للمستنقعات، والصاروخ لا يصلح لجذب الآخرين نحونا»[1]

وكذا يعبّر الكاتب والصحفي الأمريكي تيم واينر عن الأسلوب الجديد للحرب الأمريكيّة بالقول: «عندما تفشل الضغوطات والطرق الدبلوماسية والمقاطعة الاقتصادية في تطويع إرادة العدو، وتصل خيارات القوة العسكرية إلى وضع مسدود ومقفل، ينبغي الاقتصار على التلويح والتهويل باستعمال القوة العسكرية، بالتزامن مع شن حملة تشهير دولية بالنظم المعادية، وزعزعة عقائدها، وخلخلة ركائزها الفكرية والسياسية، وإسقاط رموزها الدينية والوطنية والقومية، وبلبلة أفكار جماهيرها، وبث برامج لتضليل الوعي وحرف المشاعر، وتسميم إيمان وثقة الجماهير بالقادة، وإرباك العدو بصراعات ونزاعات وأزمات داخلية بين أجنحته ورجالاته بهدف إنهاك قواه وإحداث حالة من التآكل والاهتراء الذاتي تمهد لإسقاطه»[2]

وقد طبّق الأمريكيّون نموذج الحرب الناعمة هذه على الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران عام 2009، أثناء الانتخابات الرئاسيّة فيما عرف ب«الثورة الخضراء»، وأولوا أهميّة كبرى لتلك الأحداث التي كانت ستطيح بالنظام الإسلامي بتصوّرهم، ثمّ أعادوا الكرّة في عدّة محاولات مشابهة، محاولين استغلال بعض المطالب الاقتصاديّة والمعيشيّة للشعب الإيراني والذي سببه الأساس العقوبات القصوى التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكيّة والدول الأوروبيّة على إيران، إلّا أنّهم لم يفلحوا أيضًا، وصولًا إلى استغلال حادثة وفاة الفتاة الإيرانيّة مهسا أميني يوم 16 أيلول عام 2022، ليطرحوا نموذجًا متحوّرًا للحرب الناعمة على إيران يعتمد الاستهداف في أكثر من جبهة فيما أطلق عليه الإمام الخامنئي دام ظله الحرب المركّبة.

(1) جوزيف ناي، القوة الناعمة، مكتبة العبيكان، 2007، ص 20.

(2) راجع: واينر، تيم: مقتبس من كتاب أرث من الرماد: تاريخ CIA، لاط، لا مكان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، 2010 .

وهذا تحديث للأساليب المتّبعة في الحرب الناعمة، حيث لا تبقى على نسق واحد، بل قد تتخذ أشكالًا جديدة متحوّرة ينبغي رصدها والتحضير لمواجهتها.

ولا نستغرب هذه السياسة الأمريكيّة في وجه ايران، إذ كان قد أفصح عنها ناي قائلًا: «إنّ دولارًا واحدًا ينفق لشراء قرص فيديو DVD يحمله شاب أو فتى إيراني بمواجهة سلطة رجال الدين في معركة حرب الأفكار أجدى وأفضل بأضعاف من دفع $100 لشراء أسلحة وموارد للمواجهة العسكرية مع إيران» [1].

ثانيًا: القوى الناعمة:

كأيّ حرب أخرى، فإنّ الحرب الناعمة لها أدواتها وعناصرها التي تسخّرها لتحقيق أهدافها المرسومة، وتكون هذه القوى وأفعالها منسجمة مع الماهيّة الناعمة للحرب، فتحافظ على تلك السنخيّة، بعيدًا عن العنف وإثارة حفيظة الطرف المستهدف.

وقد حدد جوزيف ناي المنظّر الأول لمصطلح القوة الناعمة عناصر القوّة في هذه الحرب بالتالي:

1. القيم الأميركية
2. جاذبية الرموز الثقافية والتجارية والإعلامية والعلمية الأميركية
3. صورة أميركا وشرعية سياساتها الخارجية وتعاملاتها وسلوكياتها الدولية.

(1) ناي، جوزيف: القوة الناعمة، م. س، ص 83.

كما حدّد ناي بعض مصاديق القوى الناعمة بأنها:

1. مصانع هوليوود وكل الإنتاج الإعلامي والسينمائي الأميركي.
2. الطلاب والباحثون الأجانب الوافدون للدراسة في الجامعات والمؤسسات التعليمية، فهم سيشكلون جيوش يحملون معهم آلاف النوايا الطيبة، والودائع الحسنة، عندما يعودون إلى بلدانهم وأوطانهم ويتقلدون المراكز والمواقع العليا، وسيصبحون سفراء غير رسميين لخدمة أميركا.
3. المهاجرون ورجال الإعمال الأجانب العاملون في السوق الأميركي وقطاع الأعمال.
4. شبكات الإنترنت والمواقع الأميركية المنتشرة في الفضاء الالكتروني.
5. برامج التبادل الثقافي الدولي والمؤتمرات الدولية التي ترعاها وتشارك أميركا في تنظيمها.
6. الشركات الاقتصادية العابرة للقارات.
7. الرموز والعلامات التجارية مثل كوكا كولا وماكدونالدز وغيرها.

وبالإجمال ترتكز القوة الناعمة على جميع المؤثرات الإعلامية والثقافية والتجارية والعلاقات العامة، وكل مورد لا يدخل ضمن القدرات العسكريّة المصنّفة ضمن القوّة الصلبة.[1]

ثالثًا: موقف الإمام الخامنئي دام ظله من الحرب الناعمة وأهدافها[2]:

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ «الحرب الناعمة، هي الحرب بواسطة الأدوات الثقافيّة والتغلغل والاندساس والكذب وبثّ الشائعات، بواسطة الأدوات المتطوّرة الموجودة حاليًّا...الحرب الناعمة تعني إيجاد الشك في قلوب الناس وأذهانهم»[3]

(1) انظر: ماهية الحرب الناعمة مواردها ومفهومها، https://www.almaaref.org/

(2) انظر، الحاج حسن، علي: الحرب الناعمة من وجهة نظر الإمام الخامنئي، https://arabic.khamenei.ir/news/5338.

(3) من كلام الإمام الخامنئي بتاريخ 2009/11/25

ويشير سماحته إلى بعض خصائص هذه الحرب بالآتي:

أ- **طويلة الأمد:** أي إن نتائجها تتحقق في المدى الطويل وليس دفعة كما هو الحال في الحرب العسكرية، ويُفهم من هذا الأمر أن الذي يمارس الحرب الناعمة يعكف على إعداد خطط تتحقق أهدافها في المدى الطويل وليس القصير، وهذا حال كل الحروب التي تتخذ من المعرفة والثقافة عناوين أساسية لها.

ب- **غير منظورة وغير ملموسة:** أي أن المستهدف بالحرب الناعمة غير مطلع وغير مدرك لحقيقة وجودها؛ إذ إن العدو يقدّمها في قالب معرفي وقيمي.

ت- **معقّدة وواسعة وشاملة:** ليس من السهل اكتشاف وجود الحرب الناعمة، فالعدو يتقدم إلينا بما هو جذاب وبما يحتل مكانًا ما في أفكارنا وعقولنا، فالحرب الناعمة لا تستهدف شخصًا أو مجموعة دون أخرى، بل تستهدف كل من يحمل القيم المعاندة للعدو.

كما يحدّد سماحته بعض أهداف تلك الحرب الناعمة بالتالي:

1. استهداف الجوانب المعنوية والعقائدية والأيديولوجية في المجتمع الإسلامي وتندرج في هذا الإطار المكوّنات الأساسية للهوية والشخصية الحقيقية للمجتمع الإسلامي، ومن جملة ذلك: القيم، الإيمان، العبودية، المعرفة...

2. تحويل نقاط القوة في المجتمع الإسلامي إلى نقاط ضعف، وقيادة المجتمع نحو الانهيار والسقوط، ويتجلّى هذا الأمر بصورته التفصيلية في محاولات إسقاط النظام الإسلامي الذي يشكل الأساس للهوية الإسلامية ونقطة القوة البارزة في الشخصية الدينية.

3. الترويج للثقافة الغربية، وتكريس القيم الوافدة، بما يحمل ذلك من هدم للهوية الدينية في المجتمع.

4. تغيير القناعات وتبديل الإرادات، وسوق الرأي العام نحو ما يحقّق أهداف الأعداء، فيكرس مصالحهم بعيدًا عن مصالح المجتمع الإسلامي.
5. بث الخلافات، وإلقاء الفتن، وإذكاء نار الاضطرابات داخل المجتمعات الإسلامية بما يمهد للسيطرة بكافة أشكالها.

أمام هذه الحرب الناعمة، يرى القائد دام ظله لزوم التبيين كسلاح رئيسي في مواجهتها، فما هو التبيين؟ وما هي عناصره وآليات تنفيذه؟

المحور الثاني: جهاد التبيين بين أصالة المصطلح وحداثة الخطاب:

أوّلًا: المعنى اللغوي للتبيين:

ذكر الزبيدي في كتابه تاج العروس المعنى اللغوي لمفردة «التبيين» ومشتقاتها، مستفيدًا من الشواهد القرآنيّة: «قوْلُه تعالَى: ﴿ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾، بكسْرِ الياءِ وتَشْديدِها بمعْنَى مُتَبَيِّناتٍ؛ ومَنْ قَرَأَ بفتْحِ الياءِ فالمعْنَى أَنَّ اللَّهَ بَيَّنَها.

وقالَ تعالَى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾، وقوْلُه تعالَى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾، أَي ظاهِرَةٍ مُتَبَيِّنة.

وقوْلُه تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، قيلَ: مَعْناه المُبين الذي أَبانَ طُرُقَ الهُدَى مِن طُرُقِ الضّلالِ وأَبانَ كلَّ ما تَحْتاجُ إليه الأُمَّةُ.

وقالَ الأَزْهرِيُّ: الاسْتِبانَةُ قد يكونُ واقِعًا. يقالُ: اسْتَبَنْتُ الشيءَ إذا تَأَمَلْتَه حتى يَتَبيَّنَ لكَ؛ ومنه قوْلُه تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، المَعْنى لِتَستبينَ أَنْتَ يا محمدُ، أَي لتَزْدادَ إجابَةً.

وأَكْثَرُ القرَّاءِ قَرأُوا ولِتَسْتَبينَ سبيلُ المُجْرِمين، والاسْتِبانَةُ حينَئِذٍ غَيْر واقِعٍ.

والتِّبْيانُ، بالكسْرِ ويُفْتَحُ مَصْدَرُ بَيَّنتْ الشَّيءَ تَبْيِينًا وتِبْيانًا وهو شاذٌّ.

وقوْلُه تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، أَي بُيِّنَ لكَ فيه كلُّ ما تَحْتاجُ إليه أَنْتَ وأُمَّتُك من أَمْرِ الدِّيْن، وهذا من اللَّفْظِ العامِّ الذي أُرِيد به الخاصُّ، والعَرَبُ تقولُ: بَيَّنْتُ الشيءَ تَبْيِينًا وتِبْيانًا»[1]

وفي المُفْردات للرَّاغب: «البَيانُ أَعَمُّ من النُّطقِ؛ لأنَّ النُّطْقَ مُخْتصٌّ باللِّسانِ، ويُسمَّى ما يُبَيِّنُ به بيانًا، وهو ضَرْبان: أَحَدُهما بالحالِ، وهي الأَشْياءُ الدَّالَّةُ على حالٍ منَ الأَحْوالِ من آثارِ صفَةٍ؛ والثاني بالإِخْبارِ، وذلك إمَّا أَنْ يكونَ نُطْقًا أَو كتابَةً، فما هو بالحالِ كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وما هو بالإِخْبارِ كقوْلِه تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾؛ قالَ: ويُسمَّى الكَلام بيانًا لكَشْفِه عن المعْنَى المَقْصودِ وإِظْهارِه نحو: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ ويُسمَّى ما يُشْرَحُ به المُجْمَلُ والمُبْهَم من الكَلامِ بيانًا نحوَ قوْلِه تعالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾».

وفي شرْحِ المَقامَاتِ للشَّريشي: "الفَرْقُ بَيْنَ البَيانِ والتِّبْيان أَنَّ البَيانَ وُضوحُ المعْنَى وظُهورُه، والتِّبْيان تَفْهِيم المعْنَى وتَبْيينه، والبَيانُ منْك لغيرِكَ، والتِّبْيان منْك لنَفْسِك مثْلُ التَّبْيين، وقد يَقَعُ التَّبْيينُ في معْنَى البَيانِ"[2]

وقال ابن منظور في كتابه "لسان العرب": "ويقال: بانَ الشيءُ وأَبَنتُه، فمعنى مُبين أَنه مُبينٌ خيرَه وبرَكَته، أَو مُبين الحقَّ من الباطل والحلالَ من الحرام، ومُبينٌ أَن نُبُوَّةَ سيدنا رسول الله ﷺ حقٌّ، ومُبيّن قِصَصَ الأَنبياء. يقال: اسْتَبنتُ الشيءَ إذا تأَملتَه حتى تَبيَّن لك. والبَيان: الإِفصاح مع ذكاء"[3].

(1) الزبيدي: تاج العروس، ج 18 ص 78-79
(2) م.ن، ج 18 ص82
(3) ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص 67-68

وفي الخلاصة، فإنّ التبيين يحمل معاني:

1. الإظهار
2. الإبانة
3. ازدياد الإجابة
4. الكشف
5. شرح المبهم
6. تفهيم المعنى
7. الإفصاح مع ذكاء.

والتبيين أعمّ من النطق فيشمل الكتابة أيضًا.

ثانيًا: التبيين في النصوص الدينيّة:

وردت قضيّة التبيين في العديد من النصوص الدينيّة القرآنيّة والروائية، فالمصطلح يحكي قضيّة شرعيّة إسلاميّة، فقد نُسب التبيين في القرآن الكريم إلى أربعة جهات مختلفة: الله، الرسول، الكتاب وآخرين.

1. التبيين في القرآن الكريم:

1. تبيين الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4]

(1) سورة البقرة، الآية 187.
(2) سورة البقرة، الآية 230.
(3) سورة البقرة، الآية 266.
(4) سورة الانعام، الآية 105.

فالتبيين حسب الآيات الكريمة هو طريق إلى التقوى، العلم والتفكّر، والله تعالى يريد للخلق أن يبلغوا تلك المراتب فسلك لهم طريق التبيين.

2. تبيين الأنبياء عليهم السلام:

﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[2]

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

5. تبيين الكتاب والآيات:

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ تِبۡيَـٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[4]

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتٖ مُّبَيِّنَـٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[5]

(1) سورة المائدة، الآية 19.
(2) سورة النحل، الآية 64.
(3) سورة النحل، الآية 44.
(4) سورة النحل، الآية 89.
(5) سورة النور، الآية 34

د. تبيين الآخرين:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]

فالمطلوب من الناس في حال جهلهم بالأمور وعدم اطلاعهم عليها أن يسألوا أهل الاختصاص في المسألة، ولا يجوز لهم أن يستمروا في الجهالة. و"«الذكر»: بمعنى العلم والاطلاع، و«أهل الذكر» له من شمولية المفهوم، بحيث يستوعب جميع العالمين والعارفين في كافة المجالات"[2]

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

2. التبيين في الروايات:

ورد في العديد من الروايات ما يفيد أهميّة ودور التبيين في الرؤية الإسلاميّة المجتمعيّة والدعويّة، نذكر منها:

1. مجالس المفيد: «أبو غالب أحمد بن محمد، عن محمد بن سليمان الزراري، عن محمد ابن الحسين، عن محمد بن يحيي، عن غياث بن إبراهيم، عن خارجة بن مصعب، عن محمد بن أبي عمير العبدي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ما أخذ الله ميثاقًا من أهل الجهل بطلب تبيان العلم حتى أخذ ميثاقًا من أهل العلم ببيان العلم للجهال، لأن العلم قبل الجهل[4]

ويستفاد من الرواية أعلاه أنّ الجاهل مطالب بتحصيل العلم، بينما العالم مطالب بتبيين علمه، والأول متوقّف على الثاني، فلو قصّر العالم ببيان العلم وإيصاله فإنّ الجاهل لن يستطيع التعلّم، وهذا يبرز مسؤوليّة مضاعفة على العلماء في تبيين العلم ومطالبه.

(1) سورة النحل، الآية 43.
(2) الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج8، ص 197.
(3) سورة البقرة، الآية 160.
(4) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، ج2، ص 23، حديث 68.

2. وجدنا الرواية قد أتت عن الصادقين عليهما السلام، بما أمروا به:

«أنّ من وهب الله له حظًا من العلم، أوصله منه إلى ما لم يوصل إليه غيره، من تبيين ما اشتبه على إخوانه في الدين، وإرشادهم في الحيرة إلى سواء السبيل، وإخراجهم من منزلة الشكّ إلى نور اليقين»[1].

والواضح من الرواية أنّ التبيين والإرشاد للمؤمنين هو مرتبة خاصّة يهبها الله للعالم.

5. ما ورد في زيارة الاربعين عن الامام الصادق عليه السلام: **«.. وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ»**[2].

حيث يظهر من هذه العبارة أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من خروجه يوم عاشوراء هو استنقاذ العباد من الجهالة والضلالة، وهو بعبارة أخرى التبيين للناس.

ثالثًا: أساليب العدو في الحرب الناعمة ومواجهتها بالتبيين:

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ العدو يستغلّ الجهالة لدى عامّة الشعب وخواصّهم أيضًا ليصل إلى أهدافه ومآربه، وإحباط ذلك يكون عبر التبيين والتوضيح وكشف الحقائق.

ومن أساليب العدو المتبعة في هذا المجال:

أ. أن يخفي وجهه في الميدان، فلا يكون باستطاعة الناس التمييز بين العدو والصديق، هنا يكشف التبيين خفاء العدوّ ويفضحه.

«أعداء الأمة ينزعجون من الأجواء الواضحة والشفافة، فلا يسمحون بها، هم يريدون أجواء غبراء حتى يصلوا إلى مآربهم، ففي هذه الأجواء يمكن للعدو أن يخفي وجهه الحقيقي، فينزل الميدان ويوجه ضربته»[3].

(1) النوري، حسين: مستدرك الوسائل، ج17، ص 286.
(2) القمي، عباس: مفاتيح الجنان، ص 682.
(3) في لقاء مع أعضاء مجلس تنسيق الدعاية الإسلامية، 2010/1/19.

ب. أن يعمد العدو إلى تضخيم نقاط الضعف لدى الفئة المؤمنة:

"إنّهم يكتمون الحقائق، إن كان هناك نقطة ضعف - هي موجودة بالطبع، فلا يوجد بلد ولا نظام بلا نقطة ضعف – يضخمون النقطة البسيطة مئات المرّات ويُظهرونها، هذا عمل عجيب يحدث اليوم؛ ولهذا إنّ «جهاد التبيين» فريضة، «جهاد التبيين» فريضة حتميّة وفوريّة، وكل من يستطيع عليه ذلك"[1].

ج. إخفاء العدو للنقاط الإيجابيّة والمشرقة لدى الأمّة والعاملين:

"هناك الآلاف من الملاحم تحدث في البلاد، كم هي الأعمال العظيمة التي تمّ إنجازها في البلاد خلال هذه السنوات، خلال هذه العقود الأربعة! كم هي الأعمال الملحميّة التي تمّ إنجازها! حسنًا، يجب بيان هذه الأمور، فالعدو يعمل على كتمانها ولا يسمح بنشرها"[2].

د. الدعوة إلى الحياد:

«البعض يقول في الفتنة هذه الرواية «كن فى الفتنة كابن اللّبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»[3]، ويقصد بها معنى سلبيًا، فلا يفهمها بشكل صحيح، فيظن أنها تعني: تنحّ جانبًا، بينما المقصود بها هو أن لا تدع العدو يستغلك بأي وجه. ونحن رأينا عمار بن ياسر في صفين كيف كان مشغولاً دائمًا بالخطابات، فكان يبيّن للجماعات التي وقعت في الشبهات، .... أحيانًا يكون السكوت والحياد عاملًا مساعدًا في الفتنة، بينما يجب على الجميع أن يملك البصيرة ويوضّح للآخرين»[4].

(1) في لقاء مع قادة ومنتسبي القوّات الجويّة، 2022/2/8.
(2) م.ن.
(3) نهج البلاغة، جزء1، ص:469.
(4) في لقائه أعضاء مجلس خبراء القيادة 2009/12/24.

رابعًا: التبيين هو السلاح الأفضل والأكثر فعالية في الحرب الناعمة:

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أنّ العدوّ اليوم يخوض حربًا ناعمة ضدّ جبهة الحقّ والإسلام، وقد أصبحت أدواته المستخدمة في هذه الحرب أكثر قدرة وأكثر فتكًا، إلّا أنّ الإمام الخامنئي يرى أنّ هذا الأمر يحمل مؤشرًا إيجابيًا، فهو يكشف عن مدى الصعوبة التي يواجهها العدو في حربه، كما أنّه يحمّلنا مسؤوليّة تطوير سلاح المواجهة، والسلاح الأكثر فعالية في وجه الحرب الناعمة المطوّرة هو التبيين.

"هذه الحرب الناعمة والثقيلة التي شنها العدو ضدنا، تدلّ بالطبع على ازدياد قوة البنية التحتية وإمكانات جبهة الحق التي جعلت الصراع معها أمرًا صعبًا، وأدّت بالعدو إلى خوض الحرب الناعمة من أجل تخريب ذهنيات الناس... سبيل مواجهة الحرب الناعمة المعقدة للعدو هو جهاد التبيين، وكما لم يعد من الممكن استخدام الأدوات القديمة في الحرب الصلبة، يجب علينا تحديث أدواتنا في الحرب الناعمة أيضًا.

السلاح الأفضل والأكثر فعالية في الحرب الناعمة هو تبيين المفاهيم الإسلامية السامية في مجال القضايا المعرفية ونمط العيش الإسلامي، وتبيين قواعد الحاكمية الإسلامية"[1].

خامسًا: حكم التبيين:

كان كلام الإمام الخامنئي دام ظله لافتًا حول التبيين، فوصفه أوّلًا بالجهاد، ثمّ أعطاه حكمًا شرعيًا وهو الفريضة والوجوب الحتمي والفوري، وهذا الكلام من الفقيه المرجع والولي الحاكم هو تصريح بالوجوب الشرعي الذي ينبغي على كلّ مكلّف مستجمع للشرائط أن يبادر إلى امتثاله.

(1) لقاؤه أعضاء «مجلس خبراء القيادة» 2022/3/10.

يقول الإمام الخامنئي دام ظله: «في النضالات الإسلامية يحتل التبيين موقعًا مهمًا، فبيان الوقائع وإيصالها، التبليغ والإبلاغ لها أهميّة قصوى لا ينبغي الإعراض عنها»[1]

«العلاج الذي يحكم به الشرع والعقل السليم هو تبيين الحق بصراحة، الكلّ مكلّف بذلك، خصوصًا الخواص، يجب عليهم توضيح المطالب وتبيينها».[2]

"في النظام الإسلامي، وظيفة العلماء ليست أحكام الصلاة والصوم فقط، بل عليهم توعية الشعب، أن يبيّنوا لهم الحقائق ويرفعوا مستوى البصيرة لديهم"[3].

"والواجب الملقى على أعناق المجتمع الإسلامي أجمع والأمة الإسلامية جمعاء في الدرجة الأولى هو الجهاد في سبيل تنوير الأفكار وتوعيتها، وتقع هذه المسؤولية على عاتق العلماء والمثقفين والدارسين وكل من له منبر، فليعملوا على إنارة الأفكار وتبيان حقائق العالم الإسلامي للناس، والتنوير هذا جهاد. فالجهاد لا يقتصر على رفع السلاح والنضال في ميدان القتال، وإنما يشمل الجهاد الفكري والعملي والتبييني والتبليغي والمالي أيضًا".[4]

وفي معرض مطالبته رئيس الدولة وأعضاء الحكومة بهذه الفريضة يقول: "يجب عليكم التوضيح للناس. إشكالي على هذه الحكومة هو أنها لا توضح للناس"[5]

ثم يذكر الإمام الخامنئي دام ظله بشكل صريح تكليف الجميع من هذا

(1) لقاء أساتذة وطلاب جامعات شيراز، 2008/5/3.
(2) في لقاء مع أعضاء مجلس تنسيق الدعاية الإسلامية، 2010/1/19.
(3) لقاء مع أعضاء مجلس خبراء القيادة يلتقون بعد اجتماعهم الدوري الخامس عشر 2014/3/8.
(4) خلال استقباله المشاركين في الدورة 33 للمسابقات الدولية للقرآن الكريم، 2016/5/18.
(5) لقاؤه مع أعضاء هيئة الحكومة والمدراء التنفيذيين في الدولة، 2007/8/31.

الواجب، ويصفه بالفريضة بقوله: "إنّ «جهاد التبيين» فريضة، «جهاد التبيين» فريضة حتميّة وفوريّة، وكل من يستطيع عليه ذلك"[1].

سادسًا: القوى الناعمة الإسلاميّة الثوريّة:

توجّه الإمام الخامنئي دام ظله في خطاباته إلى عدّة جهات في إيران وطالبها بضرورة التصدّي لفريضة التبيين، ليعود بعد أكثر من عام ويؤكّد على ضرورة أخذ الموضوع بشكل جدّي!

وسنشير في ما يلي إلى بعض القوى الناعمة التي طالبها الإمام الخامنئي بتلك الوظيفة الجهاديّة:

1. أعضاء مجلس خبراء القيادة.
2. مسؤولي الدولة، في البرلمان والحكومة.
3. الإذاعة والتلفزيون.
4. الناشطون على وسائل التواصل الاجتماعي.
5. النخب والخواصّ.
6. الحوزات العلميّة.
7. أئمة الجمعة والجماعة.
8. العلماء والمبلّغون.
9. أساتذة الجامعات.
10. طلاب الجامعات والشباب.
11. أبناء التعبئة وحرس الثورة.
12. الفنانون والشعراء.
13. خطباء المنبر الحسيني والروادید.

(1) في لقاء مع قادة ومنتسبي القوّات الجويّة، 08/02/2022.

14. وسائل الإعلام المختلفة

15. دوائر المطبوعات.

16. الاجتماعات والمحافل القرآنيّة.

17. كلّ من له منبر للتبليغ والوصول إلى الناس.

سابعًا: سياسات وآليات جهاد التبيين:

كان الإمام الخامنئي دام ظله قد أشار في جملة من خطاباته ولقاءاته إلى عدّة سياسات وآليات عمليّة ينبغي اعتمادها في إقامة فريضة جهاد التبيين، نذكر منها:

1. أهميّة السؤال والنقد، وضرورة الإجابة:

قد يتراءى لبعض الناس أنّ نقد الآخر له يؤدّي إلى إضعاف عمله أو طريقة إدارته ومكانته في المجتمع، إلّا أنّ الإمام الخامنئي دام ظله يرى خلاف ذلك، حيث يعتبر النقد مسألة ضروريّة تساهم في تبيين الحقائق وتنوير وتطوير الأذهان؛ لذا ولخطورة المسألة فإنّه لا يكتفي بدعوة المسؤولين إلى تقبّل النقد والإجابة عنه، بل يدعوهم إلى أن يضعوا أنفسهم موضع النقد ويستفيدوا من تلك الفرصة.

"على المسؤولين أن يضعوا أنفسهم موضع النقد والانتقاد، ويجيبوا عن تلك الانتقادات ويبيّنوا الأمور، فهذه فرص يستطيعون من خلالها تنوير الأذهان، وبيان حقائق الأمور، هذا أمر جيّد"[1]

2. التواصل المباشر، قضيّة مطلوبة:

يولي الإمام الخامنئي دام ظله أهميّة خاصّة للتبيين عبر التواصل المباشر،

(1) خطبة صلاة الجمعة، طهران 2009/6/19.

في الجلسات والحلقات المباشرة، حيث التواصل يكون أقوى وأكثر فائدة:

«طريقة التبيين هي أن تجلسوا وتبينوا في المجالس العمومية مع الناس، توضحون لهم، يسألونكم وتجيبوهم وتنقله وسائل الإعلام»[1].

3. اتباع نهج أخلاقي:

يرى الإمام الخامنئي دام ظله أن جهاد التبيين ينبغي أن يتمّ باتباع منهج إسلامي أخلاقي بعيدًا عن الخداع والكذب.

«بالطبع، إن المبدأ الحاسم في هذا الشأن هو ضرورة اتباع نهج أخلاقي في أداء هذا العمل، علينا أن نجتنب بشدة ما يفعله بعضهم في الفضاء المجازي أو المطبوعات والمقالات وهنا وهناك من مواجهة للرأي العام بالسّباب والافتراء والخداع والكذب»[2].

4. قوّة خطاب التبيين ومتانته:

يعتبر الإمام الخامنئي دام ظله أنّ التبيين ونشر الفكر الإسلامي يحتاج إلى خطاب قوي، عميق، ومتقن: «لا بدّ من نشر الحقائق بمنطق قوي وخطاب متين وعقلانية تامة، مع تزيينه بالعاطفة والمشاعر الإنسانية وتطبيق الأخلاق، علينا جميعًا اليوم أن نتحرك في هذا الميدان، كل واحد بطريقةٍ وبالسَّهم الذي لدينا في هذا الطريق»[3].

5. كالطبيب الدوّار:

يحثّ الإمام الخامنئي دام ظله على أن يكون التبيين بطريقة البحث عن المخاطبين كالطبيب الدوّار، لا أن يكون الإنسان في حالة انتظار لمبادرات الآخرين أو وقوع الأزمات.

(1) لدى استقباله رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة، 2011/8/28.
(2) في لقاء مع ممثّلي الهيئات الطالبيّة الجامعيّة، 2021/9/27.
(3) م.ن.

«المتوقع منكم أن تكونوا كالطبيب الدوّار بطبّه الباحث عن مرضاه، فيتعرّف عليهم ويسعى لتأمين العلاج المناسب لهم»[1].

6. ضرورة الفهم والمعرفة قبل التبيين:

لا يمكن للمجاهد في ميدان الحرب العسكريّة أن يقاتل بلا سلاح، أو بسلاح لا يعرف العمل عليه، لذا فهناك مقدّمات مطلوبة يجب أن يحقّقها من يريد التصدّي للجهاد ومنه جهاد التبيين، فالذي يريد التبيين للآخرين، لا بدّ له أن يحرز المعلومات والاستدلالات المنطقيّة والمقنعة أوّلًا ثمّ يمارس عمله، وإلّا فإنّ جهده يعود بعكس النتيجة المطلوبة، فيؤدّي إلى توهين الفكرة والعمل -لا سمح الله-، من هنا يقول الإمام الخامنئي دام ظله:

«وبالنسبة لكم كمجموعات طلابية جامعية، إن كان هناك أمر غير واضح، عليكم إدراكه وفهمه ليصبح واضحًا لديكم، فإن صار واضحًا، قوموا بتبيينه للمجموعة الطلابية...».

خاتمة:

بعد أن أعلن الامام الخامنئي دام ظله منذ ما يزيد عن سنة الحكم بجهاد التبيين وأنّه فريضة عاجلة وفوريّة وحتميّة، نجده مؤخّرًا يذكّر بتلك الفريضة مع عبارات تحمل في طيّاتها اللوم والعتاب، حيث قال «عليكم أن تأخذوا الأمر بجديّة»، ثمّ يستشهد بحركة التوّابين الذين تأخروا عن الالتحاق بالركب الحسيني بأنّهم وإن استشهدوا في طريق الحق، إلّا أنّهم تأخّروا عن الوقت المطلوب، وذلك الشاهد كاف في المقام ليفهم أبناء الولاية أنّ تأخّرهم عن إقامة فريضة التبيين غير مبرّر وسيحاسبهم عليه الله والتاريخ.

(1) لقاؤه أئمة الجمعة 1991/9/16.

من هنا، فإنّه لا بدّ للمؤمنين وأصحاب المنصّات التبليغيّة في كلّ المجالات والميادين وبالخصوص الحوزة الدينيّة وعلماء الدين، من الشروع بالأعمال التطبيقيّة والإجراءات العمليّة الكفيلة بتحقيق كفايات هذا الجهاد وبطريقة عاجلة وفوريّة، وألا يقتصر الجهد على عقد الندوات وكتابة المقالات، وإن كانت مطلوبة كطريق ومقدّمة موصلة إلى الهدف المنشود، وهو طاعة وليّ الأمر في حكمه بالجهاد الواجب، جهاد التبيين.

وكنموذج عن الأعمال التطبيقيّة التي يمكن للحوزة الدينيّة وعلماء الدين الشروع بها أقترح:

1. أن تبادر الحوزات العلميّة إلى التواصل المباشر مع فئة الشباب في المدارس والثانويات والجامعات، وكذا في المناطق والأحياء بطريقة منظمة ومدروسة لعقد جلسات النقاش والسؤال والجواب، بعيدًا عن الاقتصار على أسلوب المحاضرة فقط.
2. أن تعمد الحوزات العلميّة إلى إعداد برامج لتأهيل العلماء والمبلغين المتصدّين لجهاد التبيين على وسائل التواصل الجديدة.
3. أن تقوم الحوزات الدينية بتشخيص أولويات الساحة التبليغيّة وتحدياتها بالتعاون مع الجهات المعنيّة كالتعبئة التربوية، وكشافة الامام المهدي عجل الله فرجه، ومدارس المهدي عجل الله فرجه، والهيئات النسائية وغيرها من الجهات، ومن ثم العمل على وضع السياسات العمليّة لتبيينها ومعالجتها.
4. أن تبدي الحوزات الدينية اهتمامًا بالشأن العام للمؤمنين، سواء أكان على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي.
5. ضرورة إيجاد الارتباط بين الحوزة والجهات السياسيّة المعنيّة لتغذية الحوزة وطلابها بالتحليل والمعطيات السياسية بشكل دوري.

6. استثمار المساجد ومنابر الجمعة للتعبير عن ألم المستضعفين والفقراء، وكسب ثقتهم بنقل مطالبهم، مع حركة التبيين لهم أمام وساوس العدو وإشاعاته.